Afshaha Jurnal Bahasa dan Sastra Arab
https://ejournal.uin-malang.ac.id/index.php/afshaha/index
e-ISSN: 2963-9913

رصد فضاءات هيتروتوبيا في قصة "شاحنة برلين" القصيرة لحسن بلاسم

RASHDU FADLA-AT HETEROTOPIA FI QISHAT "SYAHINAT BARLIN" AL-QASHIRAT LI HASSAN BLASIM

Faizul Munir[1]*, M. Dasrul Jabir[2]
[1] Universitas Gadjah Mada, Indonesia
[2]Philadelphia University, Jordan

Article Information:
Received : **12/12/2023**
Revised : **29/04/2024**
Accepted : **30/04/2024**
Published : **30/04/2024**

Keywords:
dark space; demarcation; deviance; heterotopia

***Correspondence Address:**
faizulmunir@mail.ugm.ac.id

Abstract: *Syahinat Barlin* tells the story of the illegal smuggling of 35 immigrants from Turkey to Berlin, packed into a truck. The narrative grippingly reveals the horror of the journey, culminating in the extinction of all but one on board. Blasim carefully uses Gothic techniques to bring readers closer to his characters. While previous analyzes have emphasized Blasim's gothic narrative, this research highlights the important role of the spatial dimension. In *Syahinat Barlin* the truck itself, specifically the cargo box, serves as the focal space. According to Foucault, this space transcends binary categorization, embodying a 'heterotopia', a reflection of power structures and an alternative to social norms. This research aims to dig deeper into the heterotopic spaces in *Syahinat Barlin* with a descriptive-qualitative approach and hermeneutic reading. The findings reveal the truck symbolizes three different spaces: a space of deviation, a space of demarcation, and a dark space. Illegal immigrants, who attempted to enter without documents, were treated as deviants, necessitating their isolation in trucks. The truck's position is at odds with conventional transportation, depicting immigrants as 'other'. Viewed as deviants, they are monitored and treated as contaminants. Simultaneously, the Berlin truck, functioning as a hidden heterotopia, challenges the moral norms of migration, creating the illusion of utopia as compensation for the harsh reality.

الملخص: تحكي "شاحنة برلين" قصة تهريب غير قانوني لـ٣٥ لاجئا من تركيا إلى برلين، محشورين في شاحنة. تكشف السرد بشكل مثير عن رعب الرحلة، مع التداول في انقراض الجميع ما عدا واحد. يستخدم حسن بلاسم بعناية تقنيات القوطي لتقريب القراء من شخصياته. في حين أن التحليلات السابقة أكدت بشكل أساسي على السرد القوطي لبلاسم، يسلط هذا البحث الضوء على الدور المهم للبعد الفضائي. في "شاحنة

برلين"، تكون الشاحنة نفسها، وبالتحديد صندوق الشحن، موقع مركزي. وفقا لفوكو، تتجاوز هذه المواقع التصنيف الثنائي، تجسد الهيتيروتوبيا—انعكاسا لهياكل السلطة وبديلا للأعراف الاجتماعية. يهدف هذا البحث إلى اكتشاف بعمق في الفضاءات الهيتيروتوبيا في "شاحنة برلين" باستخدام نهج وصفي-كيفي وقراءة هيرمينوطيقية. تكشف النتائج أن الشاحنة ترمز إلى ثلاثة فضاءات مختلفة: فضاء الانحراف، وفضاء الفصل، منطقة سوداء. تم التعامل مع اللاجئين غير قانوني، الذين حاولوا الدخول بدون وثائق، على أنهم مختلفون، مما يستلزم عزلهم في الشاحنة. تعارض موقع الشاحنة مع وسائل النقل التقليدية، مصورا اللاجئين على أنهم "آخرون". يتم مراقبتهم وتعاملهم كملوّثين. في نفس الوقت، تعمل شاحنة برلين، كفضاء هيتيروتوبي مخفي، على تحدي المعايير الأخلاقية للهجرة، مما يخلق وهم اليوتوبيا كتعويض عن الواقع القاسي.

المقدمة

منذ أن أصبحت الهجرة ممارسة جوهرية على مر التاريخ البشري (Rystad, 1992)، منح الأدب اهتماما كبيرا لتلك القضية. تعتبر الأعمال الأدبية وسيلة للكتاب لتوثيق تجارب الهجرة وتتنوع تمثيلتها من حيث الشكل والتقنية. يختار بعض الكتاب استيعاب صوت السرد الشخصي لنقل تجربة الهجرة. تعزز هذه التقنية التعاطف مع الشخصيات بسبب القرابة التي تقوم بها. يمثل أخرون تجارب الهجرة من خلال الرموز والاستعارات، مما يخلق مسافة نفسية بين القراء والشخصيات. وهذا يتيح للقراء التأمل في التأثيرات الاجتماعية والسياسية الأوسع من الهجرة (Sakr, 2018). يجمع بعض الكتاب بين النهجين، مما يتيح للقراء الاستمتاع بعمل أدبي رفيع، وفي نفس الوقت يعكس على آثاره الاجتماعية والسياسية الواسعة. يندرج حسن بلاسم ضمن هذا النوع الثالث.

تؤثر تجربة بلاسم كلاجئ بشكل كبير على أعماله الأدبية. في عام ٢٠٠٠، بعد إصداره لفيلم وثائقي بعنوان "الكاميرا المجروحة" (The Wounded Camera)، أصبح هدفا

لصدام حسين وتم ترحيله. صار بلاسم لاجئا غير قانوني في إيران وتركيا وبلغاريا، حتى حصل أخيرا على اللجوء في فنلندا بعد أربع سنوات (Atia, 2019b).

في صياغة قصصه، يستخدم حسن بلاسم أسلوب السرد القوطي لوصف الرعب والرهبة المتنوعة التي يواجه بها اللاجئون. يختلف الأسلوب القوطي الذي يظهره بلاسم عن القوطي الأدبي الأوروبي الكلاسيكي (Bahoora, 2015)، حيث يشمل عناصرا طبيعية، مثل لاجئ يحمل رفات أمه بدون رأس في رحلته بحثا عن اللجوء. بالإضافة إلى ذلك، يستخدم بلاسم الأبعاد الفضائية لتعزيز تقنيته السردية. على سبيل المثال، في قصة "شاحنة برلين."

في شاحنة برلين، يركب ٣٥ لاجئا شاحنة حاج إبراهيم التركي، المتجهة إلى برلين في ألمانيا. يقدر أن يستغرق الرحيل ٧ أيام. يسير اليومان الأولان كما هو، ولكن في اليوم الثالث تغير الوضع إلى حال مشحون بالتوتر. تتوقف الشاحنة فجأة وتظل ثابتة لفترة طويلة، مما يسبب الذعر بين ركابها. يجدون أنفسهم محاصرين في الظلام والرعب حتى اليوم الرابع. في هذا اليوم، عندما يفتح الشرطي الصربي باسم جانكوفيتش Jankovic تلك الشاحنة، وجد ٣٤ لاجئا ميتين، مصابين بجروح من اللذعات والخدوش، مختلطين برائحة القذارة والدام. في نفس الوقت، يركض أحد اللاجئين إلى الغابة، ويشهد جانكوفيتش تحوله إلى ذئب. يحدث كل هذا الرعب داخل شاحنة تحتوي على هؤلاء اللاجئين (Blasim, 2015).

من ناحية أدبية، يمكن أن يكون الفضاء أداة فعالة لتأكيد أفكار أو مواضيع معنية وإضافة عمق وتعقيد للقصة. يمكن أن يكون هذا الفضاء ماديا أو استعاريا. يمكن أن يشمل الفضاء المادي، مثلا، إعداد القصة. على سبيل المثال، يصور منزل الشخصية بأنه فضاء ضيق، مما يعكس الفوضى الداخلية (Filimon, 2014). في حين يمكن أن يتضمن الفضاء الاستعاري استخدام مفاهيم مجردة مثل الزمن والذاكرة والخيال لإنشاء جو فضائي داخل القصة. مثلا، يمكن للشخصية استخدام خيالها لنقل نفسها إلى زمكان مختلف، مما يتيح لها الهروب من الوضع الحالي. من خلال استخدام الفضاء المادي والاستعاري، يمكن للكتاب بناء عالم معقد للشخصيات. وهذا

لا يعزز فقط واقعية القصة، بل يمكن القراء من فهم أفضل والتواصل مع الشخصيات وتجاربهم (Botting, 2018).

يستخدم حسن بلاسم نفس التقنية في "شاحنة برلين". من خلال الفضاءات التي يقدمها، يدعو بلاسم القراء لتجربة إحساس الشخصيات بالانفصال عن عالمهم والرعب الذي يواجهون به. تتواجد هذه الفضاءات بشكل متزامن، وهذا يتماشى مع مفهوم ميشيل فوكو Michel Foucault الذي يشير إلى أن الفضاء لا يمكن تصنيفه بين الفضاء الحقيقي واللاحقيقي. وفقا له، يمكن أن يكون الفضاء مزيجا من الاثنين. تظهر هذه الفضاءات "الانصهار" (fusion) بجانب الفضاءات الموجودة من قبل. أشار فوكو بأنه الفضاءات الأخرى أو "هيتروتوبيا" (heterotopia) (Foucault, 2008). كان فوكو نفسه يعتبر هذا المفهوم موقعا مضادا لليوتوبيا التي تمثل مفهوم المجتمع المثالي. بناء على فهمه، يرتبط كل يوتوبيا بالمكان الآخر: ترتبط بترتيب فضائي حقيقي في كل مجتمع وتوجد فيه جميع الثقافات.

مصطلح هيتروتوبيا ينبع أصلا من مجال التشريح، حيث يشير إلى "أجزاء من الجسم تكون إما في مكان خاطئ، مفقودة، زائدة، أو غريبة." تستمد هيتروبيا كمجاز فضائي من الضمير اليوناني القديم "هيتروس" بمعنى "آخر" والاسم "توبوس" بمعنى "مكان". تم اصطناع مصطلح هيتروتوبيا تشبيها بمصطلحي "يوتوبيا" (utopia) و"ديستوبيا" (distopia) حيث يأتي بمعنى "مكان من نظام مختلف" ويشير إلى مكان فعلي يفترض أن يكون مختلفا وقائما خارج الفضاء الاجتماعي والسياسي القياسي (Soja, 1996). وثلاثة المواضع الرئيسية أشار فوكو أكثر صراحة إلى هيتروتوبيا هي: أولا، في مقدمة كتاب "Les mots les choses" أو "The Order of Things" (١٩٦٦) حيث يناقش فيه الموسوعة الصينية لبورخيس Borges. في محاضرة ألقاها أمام مجموعة المهندسين المعمارين (١٩٦٧) تحت عنوان "Des autres espaces" تم نشرها دون تحرير قبل وفاته بوقت قصير في عام ١٩٨٣ وترجمت إلى الإنجليزية بعنوان "Of Other Spaces" (١٩٨٦). في تلك المقالة، شرح فوكو بأن الفضاء نتيجة من توازن العناصر الحقيقية واللاحقيقية، مكونة كيانا يشار إليه بـ"مواقع أخرى" أو "هيتروتوبيا". يؤكد على أن فهم الإنسان للفضاء لا ينشأ فقط كابتكارات، بل يعد نتاجا للسياقات التاريخية. في الحضارة

الغربية، يتم بناء الفضاء بتقسيمه إلى الزمان، مما يؤدي إلى تشكيل مصطلح "الزمان والمكان". نظام هرمي للفضاء في تلك الحضارة مثل الفضاء المقدس والدنس، الفضاء العام والخاص، القرية والمدينة، حتى الجنة والنار، قد شكل ترتيبا يتمتع بمواقع وتسلسلات محددة.

فهم هذا الإطار يوضح مفهوم "يوتوبيا". يستخدم فوكو تشبيه المرآة (استعارا من لاكان Lacan) لشرح يوتوبيا. عندما ننظر في المرآة، نرى صورة دقيقة لأنفسنا، مع انعكاس: اليمين تصبح يسارا والعكس (Foucault & Miskowiec, 1986). من الناحية الزمكانية، يتحرك انعكاسنا في المرآة بشكل متزامن دون أن يصبح أبطأأو أسرع. أمام المرآة، لا يمكننا رؤية تمثيلا واقعيا لأنفسنا، ولكننا نستخدم هذا التمثيل الافتراضي لفهم واقعنا. الوهم حول واقع جديد ينهار في العقل الباطن هو ما يشير إليه فوكو بمصطلح يوتوبيا. وفقا له، فإن موقع اليوتوبيا هو موقع بدون مكان حقيقي وموقع جغرافي ولكن له علاقات مباشرة تكون في بعض الأحيان معاكسة لمواقع أخرى في المجتمع. موقع اليوتوبيا هو مفهوم الفضاء نفسه الذي يمثل فهم الإنسان للفضاء. كل شخص لديه إدراك ووهم خاص بموقع حقيقي.

يمكن تعيين مواقع يوتوبيا من خلال هيتروتوبيا. فالهيتروتوبيا موقع يمكن أن يحدث فيه اليوتوبيا. مثل تشبيه المرآة السابق، إذًا كانت اليوتوبيا هي التمثسل الافتراضي جنبا إلى جنب مع وهم أنفسنا في المرآة، لأن المرآة نفسها هي هيتروتوبيا (Lukmana, 2020). لذلك، يمكن فهم هيتروتوبيا كتكوين فيزيائي حقيقي ويمكن به حدوث اليوتوبيا. أشارت هيتروتوبيا إلى الحالات والأماكن التي ظهر فيها العديد من اليوتوبيا المتزامنة في أشكال تمثيل، منازعة، وبعض التداخلات. توجد هيتروتوبيا خارج الأماكن الموجودة، حتى زكأنها غير حقيقية، ومع ذلك يمكن عرض وجودها في الواقع اليومي بسهولة. يقدم فوكو ستة مفاهيم لمساعدتنا في فهم هيتروتوبيا، وهي تسمى بـ"هيتروبولوجيا". تتضمن هذه المفاهيم الأزمة أو الانحراف، الوظيفة، التجاور، الزمان، المكان (العام أو الخاص)، والمجتمع (Foucault & Novenanto, 2017). أولا، تتواجد هيتروتوبيا في مختلف الثقافات والعصور، تحيط بطقوس المرور مثل المدارس وأماكن الانحراف مثل السجون. ثانيا، تلعب هيتروتوبيا دورا محددا فيما يتعلق بـ"جميع" المواقع

الأخرى في "الثقافة". إنها "مختلفة تماما"، واختلافها ناتج عن "تزامن الثقافة التي تحدث فيها الأماكن الأخرى." بالتالي، يمكن أن تتغير وظيفتها تاريخيا.

ثالثا، يمكن للهيتروتوبيا أن تجمع بين عناصر متنوعة داخلها تكون "في ذواتها" غير متوافقة. هيتروتوبيا هي أماكن غامضة، غير قابلة للتوجيه بشكل كامل، وتحمل تناقضات داخلية. المبدأ الرابع يشير إلى أن الهيتروتوبيا تنشأ خصوصا من خلال "التغير الزمني" أو الانقطاع في الوقت. يمكن أن تتراكم الماضي، كما في المتاحف، أو أن تمتد الآن، كما في الاحتفالات وركوب الأفعوانية. المبدأ الخامس يبرز أن هيتروتوبيا تعمل من خلال الترسيم، التمييز، ونظام الفتح والإغلاق. على الرغم من كونها متاحة للجمهور، إلا أنها لا تسمح بالدخول الكامل، مما يخلق شعورا بالاستعباد للزوار. المبدأ الأخير يتناول دور هيتروتوبيا فيما يتعلق بـ"جميع الفضاءات الباقية" (Foucault & Novenanto, 2017). أظهر فوكو بطريقة غامضة في نهاية محاضرته، مشيرا إلى أن للهيتروتوبيا وظيفتين تبدوان متناقضتين إلى حد ما تجاه "بقية" الفضاء. إما أن تقدم "وهما" يجعل مناطق أخرى في المجتمع تبدو "أكثر وهمية" (مثل مكان الدعارة)، أو تقدم "الكمال" (كما يحدث في المستعمرات) (Foucault & Miskowiec, 1986).

يوضح جونسون (Johnson, 2006) خصائص هذه المفاهيم الستة التي تتضمن على: (١) تكوين مستقر في جميع الثقافات لكن يظهر بأشكال متنوعة ويتجاوز الخصائص العالمية؛ (٢) التحول والتشغيل الخاص في نقاط مختلفة في الثقافة والتاريخ؛ (٣) التلاصق بين عدة عناصر فضائية غير متوافقة في فضاء واحد؛ (٤) تلخيص الانقطاعات أو الكثافات الزمكانية؛ (٥) افتراض نظام افتتاح أو إغلاق متناقض، دخول أو خروج أو ، مسافة أو اختراق؛ و(٦) التشغيل الخاص فيما يتعلق بفضاءات أخرى، مثل الوهم أو التعويض. لم يشر فوكو فيما يتعلق بهذه الستة بشكل محدد إلى تطبيقها تسلسليا أو كمراحل.

استنادا إلى الشرح السابق، يهدف هذا البحث إلى استكشاف بعمق الفضاءات الهيتروتوبيا الموجودة في قصة "شاحنة برلين" لحسن بلاسم باستخدام الإطار النظري لميشيل فوكو. تتوفر هذه القصة القصيرة ضمن مجموعة "معرض الجثث وقصص أخرى" التي حازت على جائزة برنامج الكتاب الإنجليزيين في برنامج الترجمة لعام ٢٠١٤

(Loytty, 2016). من جهة أخرى، تظل البحوث الأدبية المستخدمة مفهوم هيتروتوبيا لفوكو فريدة في تكرارها. ولذلك، يعتبر تحليل هذه القصة من منظور فضائي ذو أهمية.

ففي حدود البحث الخاص بفوكو، تم إجراء بحثين استندا إلى هذه النظرية. تم البحث الأول من قبل سويله (Suweleh, 2020) حيث تستخدم أفكار فوكو لتعيين خصائص هيتروتوبيا في مقهى الكرنك في رواية نجيب محفوظ بنفس العنوان. أما البحث الثاني قامت بها روس (Rose, 2020) لفهم عملية إنشاء الفضاء بواسطة The Darkling وعلاقته بالمواقع الموجودة في رواية "Little Palace" كفضاء هيتروتوبي. أما قصة "شاحنة برلين" لقد تمت البحوث فيها عدة مرات. أجرت عطية (Atia, 2019a) تحليل لـ"شاحنة برلين" باستخدام مفهوم precarious life لبتلر Butler تحقيقا لتشويه اللاجئين العرب والمسلمين بشكل منهجي. أما بليث (Blythe, 2022)، بالإضافة إلى تحليل "شاحنة برلين"، قام أيضا بتحليل قصتين قصيرتين أخريين، هما "الأرشيف والواقع" و"كوابيس كارلوس فوينتيس". في مقالته، قدم حججا بأن اللاجئين في القصص الثلاثة يتم وصفهم على أنهم طالبوا لجوء غير قانوني يتظاهرون بالدخول إلى الغرب، وكذلك إرهابيين أو حيوانات تهدد التقاليد الثقافية للبلد المستقبل. تؤدي هذه التصويرات والافتراضات إلى معاملة سلبية ورفض اجتماعي. تسلط هذه المقالة الضوء على ضرورة المعاملة العادلة نحو اللاجئين وزيادة الوعي بالمعاملة الظالمة التي يتلقونها. في حين أن فوكس (Fox, 2023) قامت بتحليل استخدام الجماليات القوطية في ثلاث قصص قصيرة لبلاسم، "شاحنة برلين"، "الأرشيف والواقع"، و"حقيبة علي"، للكشف عن الرعب الذي يعانيه اللاجئون، واستكشاف الكوابيس السريالية، والكشف عن قصص مخفية حول الأشخاص الذين يطاردون من قبل ضباط الحدود في الغابات المظلمة والمرعبة. من جميع البحوث المذكورة، لا يوجد بحث واحد يتركز على فحص جوانب الفضاء في قصة "شاحنة برلين". إذا، يسعى هذا البحث إلى تحليل قصة حسن بلاسم من منظور لم يتم استكشافه من قبل الباحثين السابقين.

منهج البحث

يستخدم هذا البحث نهجا كيفيا وصفيا مع قراءة هرمينوطيقية. تجرى هذه القراءة لتحديد النقاط الحاسمة في الكائن المادي الذي كان طابعه نصا. تتضمن الخطوة الأولى لجمع البيانات تحديد الكائن المادي والكائن الشكلي للبحث (Faruk, 2012). فالكائن المادي في هذا البحث هو قصة "شاحنة برلين" الموجودة في مجموعة "معرض الجثث وقصص أخرى" للكاتب حسن بلاسم. بينما الكائن الشكلي لهذا البحث هو الشاحنة كمواقع هيتروتوبيا. تأتي البيانات في هذا البحث بشكل النصوص التي تم جمعها من خلال تقنيات القراءة والتسجيل. تتألف وحدات البيانات من كلمات السرد، وكلام الشخصيات، وكذلك التعبيرات الأخرى الموجودة في الكائن المادي. تصنفت البيانات بعد ذلك على حسب المشكلات المطروحة في هذا البحث. بعد أن يمر الباحث بالعمليات المذكورة السابقة، سيتم ربط البيانات التي تم جمعها وتصنيفها في تحليل البيانات. وذلك لأن البيانات لا يمكن أن تكون بمفردها أو معزولة. يجب ربط كل البيانات للوصول إلى استنتاجات محددة (Akmal, 2015). في سياق هذه البحث، يجب ربط مفهوم هيتروتوبيا بالبيانات المتاحة في "شاحنة برلين"، الذي يتم استخراجه ثم ربطه من جديد بالبيانات الداعمة الأخرى. تقدم نتائج هذا التحليل بعد ذلك بشكل كتابة، مقسمة إلى أقسام وفقا لتفاصيل المشكلة.

نتائج البحث ومناقشتها

كشفت قراءة هيرمينوطيقية لـ"شاحنة برلين" عن ثلاثة فضاءات هتيروتوبيا متميزة: فضاء الانحراف، فضاء الفصل، ومنطقة سوداء. تتلاقى جميع هذه الفضاءات ضمن حدود صندوق شاحنة برلين، التي تقوم بنقل اللاجئين. سيتناول هذا القسم كل واحدة من هذه الفضاءات، بداية من ملخص نبذة القصة ومقتطف قصير يسلط الضوء على صندوق الشحن كفضاء هتيروتوبي حيوي. يهدف هذا النهج إلى توفير فهم دقيق وشامل للقراء حول سياق البحث.

نبذة عن "شاحنة برلين" والفضاءات الهيتروتوبيا

تروي "شاحنة برلين" حكاية مرعبة عن اليأس البشري، الخداع، وعدم اليقين في عالم مظلم من تهريب اللاجئين. في جوهرها، تدور القصة حول ٣٥ رجلا عراقيا، دفعهم اليأس إلى دفع ٤٠٠٠ دولار لكل واحد منهم مقابل رحلة خطيرة من إسطنبول إلى برلين. يقوم بهذه الرحلة الخطيرة السفاح الغامض، حاج إبراهيم، الذي يحسب بأنه "أفضل المهربين في تركيا كلها وأشدهم نزاهة" (Blasim, 2015). تشكل بداية القصة بتصريح مخيف في الجملة الافتتاحية، تلمح إلى كارثة محتملة: "... ولو قدر لي أن أكتبها مرة أخرى، لكتبت فقط ما أطلق حينها من صيحات فزع وتلك الأصوات الأخرى الغامضة التي رافقت المجزرة" (Blasim, 2015). هذا التنبؤ المظلم يغمر القراء فورا في جو من الرعب، يضع المسرح لاستكشاف اليأس والشك.

تتم إطارة السرد الشامل بحكايات شخصية للراوي، تقدم سياقا لليأس الشامل الذي يدفع الأفراد إلى يدي المهرب. يعمل حادث سابق يشمل رجالا أفغانا تم خداعهم، وقيادتهم في أيام الليل في إسطنبول، وتركهم في حديقة عامة ليتعرضوا الاعتقال، كمقدمة مرعبة للسرد الرئيسي. تصبح هذه الواقعية المظلمة لوحة يرسم عليها الكاتب قصة من الرعب لا يمكن تصنيفها. أساس القصة هو الشاحنة المكبلة بالغموض المتجهة إلى برلين، شاحنة لا تحمل فقط حمولتها البشرية ولكن أيضا جوا من الهلاك الوشيك. تكتسي الرحلة غموضا كبيرا، حيث يبرز الراوي عدم قدرة الحكاية على أن تكون موثوقة. يتم تجاهل حساب الشرطي الصربي الذي يعثر على فاعلية الحادث، وتسلم السرد إلى "علي الأفغاني"، حامل قصص التهريب، الذي يحكي التفاصيل المروعة نحو راوي القصة.

يمزج السرد متقنا بين الحقيقة والخيال، يمحو حدودا بين الملموس والوجدان. تعكس تأملات الراوي حول النفي الشخصي طبيعة القصة، إذ يقول: "... كنت هاربا حينها من جحيم سنوات الحصار الاقتصادي. لا خوفا من الجوع ولا من الديكتاتور، بل كنت هاربا من نفسي. ومن وحوش أخرى" (Blasim, 2015). قلب المشكلة، "المجزرة" على شاحنة برلين، يظل غامضا طوال السرد. يحجب بلاسم الإجابة الواضحة، معززا الجو من عدم اليقين. يتم تجاهل حساب الشرطي الصربي، ويرسل السرد عبر عدسة "علي الأفغاني"، الراوي غير الموثوق، على الرغم من أنه "كنزا من كنوز حكايات التهريب"، الذي

يضيف عنصرا آخر من عدم اليقين إلى القصة المبهمة بالفعل. استكشف السرد لليأس والشك وطبيعة الإنسان الهشة. يعزز غياب القرار الواضح الشعور بالرعب، مما يترك القراء يتصارعون مع صدى الأسئلة غير المجابة. الاختيار الذي يقوم به بلاسم بالتنقل في عالم الغموض والإثارة يضيف عمقا للسرد، مما يجبر القراء على مواجهة فكرة مزعجة، وهي أن في هذا العالم من التهريب البشري واليأس، بعض الرعب قد يتجاوز التفسير العقلاني.

كشفت "شاحنة برلين" أحداثها أمام خلفية رحلة كابوسية، حيث يبرز الفضاء الذي يحتضن الكوارث المتكررة—صندوق الشاحنة—كنخبة القصة. في حين يكتشف السرد الشق اليائس لـ ٣٥ رجلا عراقيا، يدفع كل منهم مبلغا كبيرا ليتم ضغطه في مساحة ضيقة من هذا المكان الكابوسي، يصبح صندوق الشاحنة بمثابة مركبا للبضائع البشرية والرعب الذي لا يمكن التعبير عنه.

أصبح الفضاء نفسه القوالب الفولاذية التي تشهد على الصرخات الصامتة والأنفاس المكبوتة للذين يسعون إلى قطعة من الأمل في عالم يعج باليأس جوهرية في القصة. جدرانها تشهد على صراخ اللاجئين المكبوتين، الذين يحلمون بالوصول إلى برلين وسط توتر يتسارع. المقدمة القاتمة للسرد، التي تبرز صرخات الرعب والأصوات الغامضة التي ترافق المذبحة المحتملة، تجعل صندوق الشاحنة مسرحا لكارثة لا تصدق. هذا المكان المحصور يعزز جو الشك والرعب.

مع تطور السرد، يزداد أهمية الفضاء. يسهم الشرطي الصربي الذي تم تجاهل حسابه، وتسليم القصة عبر علي الأفغاني، والسرد اللاعاطفي في تعقيد اللغز الذي يلف الأحداث داخل صندوق الشاحنة. يصبح الفضاء وسيلة لنقل ليس فقط للبضائع البشرية بل أيضا للعبء النفسي الثقيل على ركابها. يعتبر الفضاء مثالا على الصعوبات الشخصية للرحلة، حيث يتسارع الاضطراب فيها وتتحول المأساة إلى واقع. أصبح الفضاء فضاء مركزيا، حيث ينقشع الفجوة بين الرعب الحقيقي لتهريب البشر وعناصر السرد الخيالية. أصبح الفضاء فضاء حدوديا، حيث يتلاشى الاختلاف بين الحقيقة والخيال، مما يترك القراء يتصارعون مع عدم اليقين حيال ما حدث حقا. الرحلة المنحنية داخل صندوق الشاحنة تعكس موضوع السرد بشكل أوسع—اليأس الذي يدفع الأفراد إلى

أيدي المهربين. أصبح الفضاء مصباحا لمعان العذاب البشري، وشاهدا على الطول الذي يمضيه الناس للهروب من ظروفهم المروعة. إنها في هذا المكان المحصور حيث تتكشف تعقيدات دوافع الشخصيات والخندق الأخلاقي للمهربين وطبيعة المذبحة التي لا يمكن تفسيرها.

هيتروتوبيا الانحراف والتمييز الفضائي

عبر إطار المبدأ الأول للهيتروتوبيا، تظهر فضاءات محددة تكمن خارج حدود القيم الثقافية السائدة، تعمل كـ"مرايا" للهيكل الاجتماعي. هذه الفضاءات لا تعكس فقط القيم المعتنى بها من قبل المجتمع، بل تتحدى بنشاط وتتناقض معها. إحدى هذه التجليات هي "فضاء الانحراف"، حيث لا يسمح بالتصرفات غير التقليدية فقط، بل يشجع عليها بفعالية ويحتفى بها بطقوس (Foucault, 2008). أصلا، وضع فوكو توازنا بين الانحراف والأزمة، معتبرا الأخيرة شكلا سابقا للهيتروتوبيا. تتجلى هيتروتوبيا الأزمة في فضاءات تمنحها أهمية خاصة—فضاءات تقدس، أو تميز، أو تحرم—مخصصة للأفراد الذين يعيشون حالة "أزمة" في علاقتهم مع المجتمع والبيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها. يوضح فوكو هذا بمثال بالغ الدلالة يتعلق بفصل النساء اللاتي يعانين من الحيض عن الرؤية العامة.

ومع ذلك، يؤكد فوكو أن هيتروتوبيا الأزمة تتلاشى تدريجيا مع الوقت، مفسحة المجال لهيتروتوبيا الانحراف لتسيير المشهد. وتستخدم هذه التجليات الأخيرة استراتيجيا لعزل الأفراد الذين يعتبرون مختلفين وفقا للمعايير الاجتماعية. أمثلة على هيتروتوبيا الانحراف تشمل الأماكن المؤسسية مثل السجون والمستشفيات النفسية، حيث تعتبر كل منها تجسيدا واقعيا لجهود المجتمع في عزل وإدارة الذين ينحرفون عن القيم السائدة. يسلط التحول من الأزمة إلى الانحراف الضوء على تغير آليات المجتمع للسيطرة والاستبعاد، ملخصا للتطور المعقد للممارسات الفضائية في المناظر الاجتماعية والثقافية (Foucault & Novenanto, 2017).

في "شاحنة برلين"، يتجاوز تصوير الهجرة السطحي استكشاف التعقيدات المتشعبة التي تحيط بظاهرتها. هذا الانحراف عن الأعراف الاجتماعية—بعيدا عن مجرد تجاوز—يتسلل إلى فاصل زمني معقد يظهر كفعل متعمد ودقيق، نابع من الظروف اليائسة التي تعصف ببلادهم. يكشف السرد عن نسيج عميق من الدوافع، يصور الهجرة ليست كمجرد حالات فردية، بل كأفراد يدفعون إلى الانحراف عن قنوات الهجرة التقليدية بفعل المشهد الاجتماعي والسياسي القاسي. في قلب القصة تكمن وسيلة غير تقليدية لنقل اللاجئين (شاحنة) رمزا لطبيعة ركوب الطريق المهمش والخفية لرحلتهم. هذا الانحراف عن وسائل تقليدية، مثل الطائرات أو السفن، ليس اختيارا بسيطا ولكنه فعل رمزي يردد تحديا وصمودا نحو اللاجئين كما أنه "لم يكن أمامها [جماعة شاحنة برلين] خيار آخر سوى المغامرة. فالخوف من حكايات النصب يعني الشلل وضياع الأمل والعودة الى بلد يخنقه الجوع والظلم" (Blasim, 2015). تصبح الشاحنة وسيلة رمزية لتطلعاتهم، تجسد في الوقت نفسه وسيلة انحرافهم وسفينة أحلامهم. من خلال هذا العدسة، يحول السرد عملية الانحراف إلى رمز قوي للفعلية والأمل، اختيار جريء في وجه الصعوبات.

يستخدم مصطلح "الانحراف" بعناية، يتعدى حدود الجريمة المضيقة ويتجاوز إلى إطار مفاهيمي أوسع يشمل عدم الامتثال للأعراف الاجتماعية والثقافية المعترف بها. الانحراف لدى اللاجئين ليس مظهرا للجريمة المتأصلة، بل نتيجة لانحرافهم عن الإجراءات المقررة، وهو أمر ملح بفعل الظروف الاجتماعية والسياسية الملحة التي هم يهربون منها. هذا الإطار تحد التصوير السائد حول الهجرة، وتحث على فهم أدق يعترف بالفعلية والمرونة لأولئك الذين يضطرون لرسم مسارات غير تقليدية.

مستشرقا في الطبيعة النفسية، يقدم السرد مفهوما مثيرا للاهتمام: immigrant limbo كما اقترحه مصلانجيد (Mosallanejed, 2005). يشمل هذا المصطلح ليس فقط الغموض القانوني وإنما أيضا التوتر النفسي العميق والصدمات المتكررة والاكتئاب الحاد الذي يعاني منه اللاجئون طوال عملية البحث عن اللجوء. يتجاوز السرد بذلك التصوير السطحي للانحراف، يعيد تكريس الشخصيات ويصورها ليس فقط كمخالفين للقوانين بل كأفراد يتصارعون مع الأعباء العقلية والعاطفية المستمرة لرحلتهم.

يظهر الفعل الانحرافي في هذا السرد ليس تمردا متهورا، بل كاستجابة عملية لواقع لا يمكن تأجيله. يجد اللاجئون أنفسهم مضطرين للبحث عن طرق بديلة وسط المشهد الاجتماعي والسياسي الذي لا يرحم في وطنهم. تتحدى هذه الوجهة النظر الروايات البسيطة التي تصف الانحراف بأنه نوع من السلوك السلبي، مشجعة على فحص نقدي للخيارات التي يتخذها الأفراد عندما يواجهون خيارات محدودة. السرد، في جوهره، يتحول إلى استكشاف مؤلم للغرائز البشرية للبقاء والازدهار في وجه كل الصعوبات. يتركز السرد أيضا على التناقض الصارخ بين اليوتوبيا التي يتخيلها اللاجئون في البلد الذي يوفر اللجوء وبين الظروف الصعبة التي يجدون أنفسهم فيها فعليا. يضيف هذا الانفصال طبقة من السخرية إلى سعيهم للسعادة، ويبرز الحقائق القاسية التي غالبا ما تنتظر أولئك الذين ينحرفون عن الأعراف بحثا عن حياة أفضل.

وفقا بسالدانيا Saldanha، إن التمييز (othering) هو ديناميات تبادلية بطبيعتها، تتضمن بشكل أساسي المشاركة الفعالة والوكالة لكل من الطرفين المتفاعلين. إن الاعتراف بالعلاقات الهيتروتوبيا يعد مكافئا تقريبيا للاعتراف الضمني بتبادلها الوثيق، مستنتجا عن وجود تبادل تكاملي بين الأطراف المعنية. يجرى تحليل مفاهيمي يؤكد على عدم وجود "السلطة"، وعلى التوالي، يقدم وجود علاقات السلطة وحدها. يقدم هذا الموقف الفكري نموذجا يرى في السلطة ليست قوة معزولة بل تفاعلا بين الكيانات، على غرار اعتبار مصطلح "هيتروتوبيا" مصطلحا غير صحيح؛ بل يكمن النقطة المحورية في وجود العلاقات الفضائية المتباينة كالظواهر السائدة (Soja, 1996).

تعتبر الطبيعة المتعددة الأوجه للتمييز الفضائي، والتي يتم التعرف عليها كعملية معقدة تشمل كل من التسليط والسيطرة، بوصفها بوابة لتحليل فاحص. ومع ذلك، يكشف التحليل النقدي عن تفاوت في توزيع الأدوات المستخدمة لتوظيف التمييز. يظهر الجانب الذي يتبع دورا فعالا كأكثر هشاشة، حيث تمتلك الجهة السائدة سلطة متفوقة لتعيين حدود الشريك الأضعف. ونتيجة لذلك، ينصب اهتمامنا نحو الشريك الأقل قوة، مبرزا الديناميات السلطوية التسلسلية (Filimon, 2014). في خيوط العلاقات القضائية المعقدة، يلاحظ تيار تنافسي. تظهر التبادلية المزعومة للتمييز، عند فحصها بعناية، بُعدا معاديا. يبرز هذا الاكتشاف البعد التنافسي والنزاع الجوهري في مثل هذه

العلاقات، متحديا أي تصور سطحي للتعايش المتناغم. في هذا الصدد، يقدم الراوي في قصة بلاسم المثال التالي:

> "... لا ينقل الإعلام أخبار قصص الكوميديا السوداء ومثلما لا تصلكم أخبار ما تفعله الجيوش الأوربية الديمقراطية حين تمسك ليلا، في غابة عملاقة، مجموعة من البشر المذعورين، والمنقوعين بالمطر والجوع والبرد. شاهدت كيف ضرب جنود بلغار شابا باكستانيا بالمسحاة حتى فقد الوعي. ثم طلبوا منا جميعا أن ننزل في ذاك الزمهرير الى نهر شبه منجمد. حصل هذا قبل أن يسلمونا الى الجيش التركي" (Blasim, 2015).

بدأ فوكو مناقشته حول الهيتروتوبيا واليوتوبيا، كما هو موضح سابقا، من خلال تصور العلاقات الاجتماعية من خلال المرآة. على الرغم من أن هذه الاستعارة تدور حول الأنا، يمكن اعتبارها استعارة فضائية مفيدة لفحص الحدود الهيتروتوبيا بين الذات والآخر، والانعكاسية، وطريقة عمل "الافتراضي" داخل "الحقيقي" (Lukmana, 2020). ومن أجل تجسيد الفضاء والهوية للاجئين، يوضح السرد أشكال التمييز التي تقوم بها الجهات السائدة (المافيا والإعلام) ضد اللاجئين كمجموعة تابعة تظهر افتراضيا: "الآخر خلف الزجاج". بالتأكيد، على عكس استعارة فوكو، الآخر خلف الزجاج في "شاحنة برلين" ليس افتراضيا فقط، بل هو أيضا السلطات المعتدية. عندما يؤكد فوكو أن فضاءات هيتروتوبيا "تقدم نوعا من المقاومة للمواقع التي أحتلها"، يستحضر اللعب الفضائي للحضور أو الغياب التبادل. يتجاوز التبادل الحدود الهيتروتوبيا فصل الذات والآخر، ويعكس التعارض الذي يشكل ويتشكل عن طريق هذا الانفصال: اللاجئين وغير اللاجئين، الأنا والآخر.

شاحنة برلين كهيتروتوبيا الفصل

في المبدأ الخامس، يقدم فوكو فكرة أن الهيتروتوبيا تفترض دائما نظاما يتسم بالفتح والإغلاق، حيث يحدد كلاهما من يجدر أن يدخل. وبشكل عام، يمكن للشخص الدخول بموجب إذن معين. يختلف هدف هذا التحكم والتنظيم باختلاف السياق،

سواء لأسباب دينية أو صحية (Foucault & Miskowiec, 1986). يوضح فوكو هذا المفهوم من خلال مثلين عمليين متعلقين بعمليات تنظيف: الحمام للمسلمين في تركيا وثقافة السونا في إسكندنافيا. في هذه الحالات، لا تقدم هذه الفضاءات فقط تنظيفا جسديا ولكنها تعتبر أيضا أماكن يتم فيها تحديد الصلاحيات، مما يسلط الضوء على الطابع الطقوسي لهذه الممارسات ضمن سياق المجتمع الأوسع. علاوة على ذلك، يستعرض فوكو الدقة في الفضاءات التي تبدو بسيطة للوهلة الأولى ولكنها تحمل آليات جوهرية للاستبعاد. يبرز هذه النقطة بمثال قوي: ربوع مزارع الموز في البرازيل. هنا، لا يمثل دخول الفضاء مجرد انتقال جسدي، بل يشير إلى عملية تطهير، تتزامن في الوقت نفسه مع تجربة للاستبعاد والاغتراب. يصبح الفرد، عند تجاوز العتبة، في حالة تحول تفصله عن الواقع الملموس للعالم الخارجي (Foucault & Novenanto, 2017).

في سياق هذا الهيتروتوبيا، يستعير فوكو السفينة كمجاز. إنه يقترح أن السفينة هي "كائن يطفو في الفضاء، مكان بدون مكان، يوجد في ذاته وبذاته، مغلق وفي الوقت نفسه متسلم للاستمرار في بلا حد في المحيط. من ميناء إلى ميناء، من شاطئ إلى شاطئ، من دعارة إلى دعارة، يتجولون بقدر ما تتجول المستعمرين بحثا عن أغلى الكنوز لرفاقهم، ستدرك لماذا، من القرن السابع عشر حتى اليوم، لم تكن السفن تكون فقط وسيلة رئيسية في تطوير الاقتصاد، بل تمثل أيضا الاحتياط الأكبر لخيال حضارتنا. السفينة هي المكان الآخر الرئيسي. في حضارة بلا سفن، تتجف أحلامنا، وتحل محل المغامرة المراقبة، وتحل الشرطة مكان القراصنة" (Foucault, 2008).

هذه الهيتروتوبيا، وبالتالي، تعمل ضمن نظام الفصل. في "شاحنة برلين"، يتمتع المهرب، حاج إبراهيم، بسلطة تحديد من هم الأشخاص المؤهلين للركوب في شاحنته. يجب على الراغبين في السفر على شاحنته دفع مبلغ قدره ٤٠٠٠ دولار مسبقا. يتم حساب هذا المبلغ من خلال مراعاة المدة والمخاطر المحتملة التي قد يواجهونها خلال الرحلة. من بين هذه مخاطر هو "الجهاز الذي تستخدمه الشرطة في قياس ثاني أوكسيد الكربون في الشاحنات لكشف أنفاس من يختبأون فيها". يستغل حاج إبراهيم أيضا مساعدة قوات الأمان لتأمين الطريق (سواء كان برشوة أو خداع): "في الليلة الثانية كانت هناك سيارة مرسيدس تسير على مسافة بعيدة من شاحنة برلين لتأمين الطريق وتزويد

سائق الشاحنة بالمعلومات. سارت شاحنة برلين طوال الليلة الثانية بسلام ولم تتوقف إلا ثلاث مرات لوقت بالغ القصر [...] سيارة جيب عسكرية كانت تسير أمام الشاحنة في الليلة الثالثة لتأمين الطريق. لم تقطع شاحنة برلين في رحلتها الليلية هذه المرة سوى خمس ساعات، فقد توقفت فجأة و أستدارت الشاحنة وعادت أدراجها بسرعة جنونية" (Blasim, 2015).

بالإضافة إلى إجراء عمليات الفصل قبل مغادرة شاحنته بشكل رسمي، يفرض الحاج إبراهيم مجموعة من القوانين خلال مسار الرحلة، والتي يمكن اعتبارها كحدود مميزة:

> "الشاحنة تسير في الليل وتتوقف في النهار عند مدن حدودية صغيرة. وكل من يريد أن يتغوط عليه أن يفعل ذلك في النهار، أما التبول فمسموح به أثناء الليل داخل الشاحنة في قناني الماء الفارغة. ممنوع حمل أي هاتف خلوي أثناء الرحلة. على الجميع أن يلتزم الهدوء وأن يكتم أنفاسه أثناء التوقف في نقطة حدودية او أشارة مرورية وأن لا يحصل أبدا أي شجار" (Blasim, 2015).

إن عملية الفصل هذه تقتصر على مساحة حركة اللاجئين داخل الشاحنة بشكل كبير. يخضعون للانفصال عن العالم الخارجي وبشكل متناقض يواجهون ظروفا مروعة.

> "كان الظلام و الحر شديدين داخل الشاحنة، وكان الهواء يتسرب الى الداخل من ثقوب صغيرة غير مرئية. كان الخوف من نفاد الهواء، يدفع الشبان للتنفس بسرعة مثل من يستعد للغطس في نهر. بعد خمس ساعات من سير الشاحنة، كانت رائحة الأجساد والجوارب المتعفنة والطعام المتبل الذي كان يلتهمونه في الظلام، يضاعف الاختناق" (Blasim, 2015).

وفقا لسالدانيا (Saldanha, 2008)، تمكن هيتروتوبيا أيضا من وجود سياسات الحدود. مصطلحات مثل "الفصل و"الاستبعاد" تشير إلى عمليات تحديد المكان المركزة على التفاصيل الحادة بين الذات والآخر. حدود هيتروتوبيا بين الداخل والخارج ليست صلبة ولكنها سائلة، ليست ثابتة إلى الأبد ولكنها تتنازع وتتفاوض باستمرار. عند مناقشة

التسلل المتزامن و"الاستبعاد الغريب" للمواقع الأخرى، قد يكون فوكو قد تصور حدود هيتروتوبيا بنفس الطريقة: "هنا، تأخذ هيتروتوبيا صفات الترابط البشري، مع مراقبتها للوجود والغياب، وسلوكيات التحديد، وتعريفها الوقائي بين الداخل والخارج. ضمني في هذا التنظيم للفتح والإغلاق هي آليات السلطة، وتكنولوجيا التأديب" (Foucault, 1966). إذا كانت الأماكن الأخرى مفتوحة ولكنها مغلقة، قابلة للوصول ولكن مقدسة بطريقة ما، ستظهر صراعات بين أولئك الذين يرغبون في إغلاقها وآخرين يرغبون في فتحها.

> "وأشرف على عملية التغوط شابين. لم يكن مسموحا حتى النزول من الشاحنة الى الزريبة، ولا السؤال عن مكان القرية وفي أي بلد هي. أحد الشابين يأخذهم حسب الدور الى مرحاض صغير وقذر للغاية في زاوية الزريبة. و الآخر كان يشتري لهم الماء أو الطعام، ويعود في آخر النهار" (Blasim, 2015).

يتم التعامل مع اللاجئين كالأوساخ التي يجب تنظيفها، ويجب مراقبة جميع أفعالهم عن كثب. بالنسبة للاجئين، هذا بالتأكيد أمر غير سار. ومع ذلك، بالنسبة للمهربين، إنهم يقومون بأداء واجباتهم بأفضل طريقة ممكنة، بغض النظر عن رد فعل العملاء.

شاحنة برلين كمنطقة سوداء

تم تصميم المفهوم السادس من هيتروتوبيا لتأسيس اتصالات بين المواقع المختلفة والفضاءات الفعلية المتزامنة. تشمل هذه الوظيفة قطبين متناقضين، حيث يعمل أحدهما على إنشاء ميادين وهمية تكشف جوهر كل فضاء فيزيائي. في جوهرها، تؤدي هذه الهيتروتوبيا دورا مزدوجا—فهي لا تكشف فقط عن حقيقة الفضاءات الفعلية، لكنها تعمل في الوقت نفسه كستارة تخفي بعض المواقع المقصودة المخفية عن نظر الحضارة البشرية (Foucault, 2008). يعد الدعارة، مثالا، على هذا النموذج في الساحة الحضرية. وموقعها الاجتماعي عند الطرف المعاكس للقيم الأخلاقية السائدة، يتحول الدعارة إلى مأوى سري داخل النسيج الحضري. يترك هذا التستر العميق للدعارة

بصمة لا تنسى على المشهد الحضري، مما يؤدي إلى ظهور "منطقة سوداء" محددة— تجسيدا خفيا ولكنه ملموسا للتناقضات المجتمعية (Foucault & Miskowiec, 1986).

علاوة على ذلك، فإن التستر لهذه المنطقة السوداء يستدعي بناء مناطق توازن متجذرة في القطبين المتعارضين. تعمل هذه المناطق التوازنية كحواجز مادية ومجازية، تحمي المجتمع بشكل أوسع من الانتهاكات المتصورة التي تحدث داخل الأماكن المستترة (Filimon, 2014). تظهر هذه الثنائية المتعمقة في تصميم الفضاءات الحضرية تفاعلا معقدا بين القيم المجتمعية والمعايير الأخلاقية، والحاجة الجوهرية لتحديد المساحات استنادا إلى الأخلاق المفترضة.

في هذه القصة، تعتبر الشاحنة التي تنقل اللاجئين فضاء هيتروتوبيا مستترا بسبب تعارضها من المعايير الأخلاقية السائدة فيما يتعلق بالهجرة. يتم تنفيذ هذا التستر من خلال تشغيل الشاحنة حصريا خلال الليل، والتوقف الانتقائي في مواقع محددة، والمرافقة الصارمة من قبل عصابات المافيا. في نهاية المطاف، يخلق هذا التستر وهما يوحي بأن اللاجئين يعبرون فضاء آمنا في اتجاه حياة جديدة. "في الصباح توقفت الشاحنة في مرآب في قرية حدودية، وفتح باب الشاحنة الخلفي، تنفس الزبائن وتجدد الأمل في صدورهم." ومع ذلك، في الواقع، تكون الأحداث المتكررة على نحو معاكس تماما. عندما تتوقف الشاحنة فجأة، "وعم صمت مريب وغامض داخل شاحنة برلين. صمت شيطاني سيفرخ معجزة وحكاية لا تصدق."

> "أخذ بعضهم بركل جدران الشاحنة ومناداة من كان خارج الشاحنة. اعترض ثلاثة شبان وطلبوا من البقية الهدوء. كانت رائحة شجار عالقة في ذاك الهواء الشحيح والمكهرب. كان يتحادثون حسب مصدر الصوت. ويرى بعضهم بعضًا مجرد ظلال داكنة. وعند منتصف النهار كان الجميع تقريبًا يطرق على جدران الشاحنة وبابها الخلفي وهم ينادون ويستغيثون. كان هناك من تغوط في أكياس الطعام. وكانت الرائحة الفظيعة تتراكم داخل الشاحنة مثل طبقات من الحجر، و تشبه أنفاس الشبان مجتمعة كأن وحشًا يتنفس بصخب في الظلام. وهزمت الرائحة والخوف أعصاب الجميع. فقد نشب شجار و عراك بالأيدي في الظلام، ثم إتسعت دائرة هذا العراك. وبعدها بساعة واحدة هدأت الحال. فالعطش أعاد الهدوء. وجلسوا

يتهامسون ويتكهنون بأصوات خفيضة وكأنهم خلية من النحل. وبين حين وآخر كان أحدهم يطلق شتيمة او يركل جدران الشاحنة. كان أغلب الشبان يحرص في تلك اللحظات على ان يخبأ ماتبقى له من طعام وماء في داخل الحقائب.

رغم الظلام الأسود الذي لم تميز فيه الوجه عن القدم قام هذا وذاك بأفعال لا يمليها ما كان يحدث: واحد يربط حذاءه و ثان ينزع ساعته اليدوية ويخبئها في جيبه وثالث يغير قميصه في مثل ذلك الظلام. هكذا هي مخيلة الانسان. تنشط بغرابة في مثل هذه المواقف متحولة الى جرس إنذار وحبوب مهلوسة" (Blasim, 2015).

في إضافة إلى خلق الأوهام، تعتبر هذه الهيتروبيا أيضا مجالات تعويضية. إنها لا تقوم فقط بتفكيك المساحات الحقيقية من خلال الوهم، ولكنها أيضا تبني مساحات حقيقية أخرى تماما على غرار المساحات اليوتوبية التي تجسد الحياة المثالية المتصورة للكثيرين. ومن وجهة نظر أوسع، يمكن اعتبار المساحات التعويضية كمساحات للهروب. في هذه القصة، يستخدم اللاجئون الشاحنة كمساحة تعويضية لما يتحملونه في حياتهم اليومية.

"لكن جماعة شاحنة برلين لم يكن أمامها خيار آخر سوى المغامرة. فالخوف من حكايات النصب يعني الشلل وضياع الأمل والعودة الى بلد يخنقه الجوع والظلم. ثم أنهم اعتمدوا على سمعة المهرب الشهير. قالوا لهم انه أفضل المهربين في تركيا كلها و أشدهم نزاهة. ولغايتها لم يلق الفشل كما لم يخدع أحدا. إنه رجل ملتزم بدينه، وحج ثلاث مرات، لهذا كانوا يلقبونه بالحاج إبراهيم" (Blasim, 2015).

تحمل الأمور اللاجئون، كما ذكرها السرد، "من جحيم سنوات الحصار الاقتصادي"، مما أدى إلى "طمس هوية الانتماء الى الواقع المألوف ويدفع الى السطح بوحشية كانت مطمورة تحت حاجات الأنسان اليومية البسيطة [...] شاعت قسوة حيوانية دنيئة سببها الخوف من الموت جوعا" (Blasim, 2015). على الرغم من أن اللاجئين انتهوا في النهاية بالموت، إلا أنهم لا يزالون اختاروا الهجرة بشكل غير قانوني باستخدام شاحنة. من هنا، يمكننا أن نستنتج أنه ربما كانوا يرون الموت أيضا كشكل من أشكال التعويض، عاقبة منطقية لاختياراتهم. علاوة على ذلك، يمكننا أن نفترض أن قرارهم

بالهجرة، بجانب الأمل في حياة أفضل، يمثل مقاومة ضد القوانين المفروضة من قبل السلطات الحاكمة.

الخلاصة

تتحدث "شاحنة برلين" عموما عن اللاجئين الذين يضطرون إلى الهجرة بشكل غير قانوني نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية الفوضوية في بلادهم. باستخدام تقنية السرد القوطي، يحاول حسن بلاسم تقديم الواقع المرير الذي يعيشه هؤلاء اللاجئون. يشمل ذلك الخيارات المحدودة التي يملكونها، وضعف موقفهم خلال الرحلة بحثا عن اللجوء، والظروف غير المؤكدة بعد وصولهم إلى بلد جديد—على الرغم من أن ذلك في النهاية لا يتحقق. يمكن اعتبار اللاجئين في "شاحنة برلين " مجموعة من الأشخاص المنحرفين لأنهم يحاولون دخول بلد آخر بدون وثائق رسمية. لذلك، يجب عليهم أن يعزلوا ويتم تهريبهم باستخدام شاحنة. يضع موقف الشاحنة في هذه القصة، والأشخاص في داخلها، بمنأى عن اللاجئين الرسميين ووسائل النقل الأكثر شيوعا، مثل الطائرات أو السفن. نظرا لأن هؤلاء اللاجئين يعتبرون منحرفين، فإن للسلطات—التي يمثلها حاج إبراهيم، وهو تمديد للمافيا—القوة لتحديد من يستحق الصعود إلى الشاحنة ومن لا يستحق. إنهم يفرضون شروطا مختلفة يجب أن يلتزم بها مرشح المسافرين، مع مراعاة جميع المخاطر التي قد يتعرضون لها خلال الرحلة. يتم التعامل مع اللاجئين غير قانوي بأنهم فضلات يجب تنظيفها، ويجب رصد جميع أفعالهم. بالنسبة للاجئين، فإن هذه المعاملة غير مريحة بالتأكيد.

ومع ذلك، بالنسبة للمهربين، فإنهم يقومون بأداء واجباتهم بأفضل ما يستطيعون، بغض النظر عن رد العملاء عليها. كمنطقة سوداء، تعد شاحنة برلين موقعا هيتروتوبيا يتم إخفاؤه لأنه يتعارض مع المعايير الأخلاقية الشائعة بشأن الهجرة. يتم تحقيق هذا الإخفاء من خلال تشغيل الشاحنة فقط في الليل، والتوقف في مواقع محددة، والمرافقة الصارمة من قبل المافيا. هذا الإخفاء في النهاية يخلق وهما بأنهم في مكان آمن في طريقهم إلى المكان الذي سيجدون فيه حياة جديدة. على الرغم من أن

الواقع يكون على العكس تماما. بالإضافة إلى إنشاء وهم، تعمل هيتروتوبيا أيضا كموقع تعويضي. يحول اللاجئون في هذه القصة الشاحنة إلى موقع تعويض عن ما يعيشونه في حياتهم اليومية. يجعلون الشاحنة مكانا للهروب من مرارة الحياة التي يعيشونها.

يعاني هذا البحث من قيود فيما يتعلق بالكائن المادي والنظرية المستخدمة كأداة التحليل. من ناحية الكائن المادي، يتم فحص قصة قصيرة واحدة فقط في هذا البحث، مما يعني أن وجهات النظر والمعرفة المنتجة محدودة. إذا تم توسيع الكائن المادي، وهو قصص حسن بلاسم التي تتناول موضوع المهاجرين، فإن وجهات النظر ستكون أكثر ثراء، ويمكن فحص كل كائن مادي بصفته فريدا والمقارنة إذا لزم الأمر. أما من ناحية النظرية، فقد تم انتقاد مفهوم الهيتروتوبيا لفوكو بواسطة الباحثين اللاحقين، على الرغم من أن موقع هذه النظرية لا يزال مهما وأساسيا في المواضيع المشابهة. لذلك، يوصى بأن يقوم الباحثون المستقبليون بتوسيع النقاش ليشمل قصص حسن بلاسم واستخدام أطر تحليلية أكثر حداثة استنادا إلى مفهوم الهيتروتوبيا.

المراجع

Akmal, R. (2015). Subjektivitas Pramudya Ananta Toer dalam Novel “Perburuan”: Kajian Psikoanalis Historis Slavoj Zizek. *Jentera*, *4*(1), 12–23. https://doi.org/DOI: https://doi.org/10.26499/jentera.v4i1.381

Atia, N. (2019a). Death and Mourning in Contemporary Iraqi Texts. *Interventions*, *21*(8), 1068–1086. https://doi.org/10.1080/1369801X.2019.1585915

Atia, N. (2019b). The Figure of the Refugee in Hassan Blasim’s “The Reality and the Record.” *The Journal of Commonwealth Literature*, *54*(3), 319–333. https://doi.org/10.1177/0021989417707802

Bahoora, H. (2015). Writing the Dismembered Nation: The Aesthetics of Horror In Iraqi Narratives of War. *The Arab Studies Journal*, *23*(1), 184–208. http://www.jstor.org/stable/44744904

Blasim, H. (2015). *Ma’radl al-Jutsats*. al-Mutawassit.

Blythe, R. (2022). *Migrant in Limbo: An Investigation into the Dehumanisation of the Migrant Figure during Migration and Integration as Shown through the Short Stories of Hassan Blasim* [Thesis]. Stockholm University.

Botting, F. (2018). Literature-outside-space: Foucault, Sade, and Tales of Terror. In *Space of Crisis and Critique*. Bloomsbury.

Faruk. (2012). *Metode Penelitian Sastra: Sebuah Penjelajahan Awal*. Pustaka Pelajar.

Filimon, E. C. (2014). *Heterotopia in Angela Carter's Fiction: Worlds in Collision*. Anchor Academic Publishing.

Foucault, M. (1966). *The Order of Things: An Archaeology of the Human Sciences*. Vintage Book.

Foucault, M. (2008). Of Other Space. *Heterotopia and the City Public Space in a Postcivil Society*. Routledge.

Foucault, M., & Miskowiec, J. (1986). Of Other Spaces. *Diacritics*, *16*(1), 22–27. https://doi.org/10.2307/464648

Foucault, M., & Novenanto, A. (2017). Tentang Ruang-Ruang yang Lain (atau Heterotopia). *Jurnal Kajian Ruang Sosial-Budaya*, *1*(1), 37–48. https://doi.org/10.21776_ub.sosiologi.jkrsb.2017.001.1.04

Fox, R. G. (2023). Narrating Horrific Refugee Experiences in Hassan Blasim's Short Fiction. *Journal of Postcolonial Writing*, *59*(1), 43–56. https://doi.org/10.1080/17449855.2022.2150090

Johnson, P. (2006). Unravelling Foucault's 'Different Spaces.' *History of the Human Sciences*, *19*(4), 75–90. https://doi.org/10.1177/0952695106069669

Loytty, O. (2016). Welcome to Finnish Literature! Hassan Blasim and the Politics of Belonging. *Studies across Disciplines in the Humanities and Social Sciences 23*, 67–82.

Lukmana, D. (2020, September 20). Utopia dan Heterotopia: "Ruang-Ruang Lain" Menurut Michel Foucault. *Logos.Id*. https://logosid.xyz/utopia-dan-heterotopia-ruang-ruang-lain-menurut-michel-foucault/

Mosallanejed, E. (2005). *Torture in the Age of Fear*. Seraphim Editions.

Rose, N. A. (2020). Heterotopia of Little Palace in Leigh Bardugo's Shadow and Bone. *LITERA KULTURA : Journal of Literary and Cultural Studies*, *8*(2), 1–9. https://doi.org/10.26740/lk.v8i2.37859

Rystad, G. (1992). Immigration History and the Future of International Migration. *The International Migration Review*, *26*(4), 1168–1199. https://doi.org/10.2307/2546879

Sakr, R. (2018). The More than Human Refugee Journey: Hassan Blasim's short stories. *Journal of Postcolonial Writing*, *54*(6), 766–780. https://doi.org/10.1080/17449855.2018.1551269

Saldanha, A. (2008). Heterotopia and Structuralism. *Environment and Planning A: Economy and Space*, *40*(9), 2080–2096. https://doi.org/10.1068/a39336

Soja, E. (1996). *Thirdspace: Journeys to Los Angeles and Other Real-and-Imagined Places.* Blackwell.

Suweleh, F. (2020). Karakteristik Heterotopia Ruang Kafe dalam Al-Karnak Karya Najib Mahfudz: Analisis Other Space Michel Foucault. *Atavisme*, *23*(2), 135–146. https://doi.org/10.24257/atavisme.v23i2.645.135-146